خطابٌ مفيدٌ في الكنيسة والتقليد

محرر من احد المسيحيين ابناء العرب الى احد
اصدقايهِ من الروم الشرقيين المدّعين بالعلم في
هذه المدينة ردًّا على ما هذرَ بهِ على رسالة
الخواجه ميخائيل مشاقة المعنونة
بالدليل الى طاعة
الانجيل

ضللتم لانكم لم تعرفوا الكتب (متى ص٢٢ ع٢٩)
لِمَ لا تحكمون بالصدق من قبل نفوسكم (لوقا ص١٢ ع٥٧)

خطابٌ مفيدٌ
في
الكنيسة والتقليد

انهُ حين ظهرت النبذة الاولي من رسالة الخواجا مشاقة المعنونة بالدليل الى طاعة الانجيل ظهر من احد الغيورين على التقليدات الابوية من ابناء كنيسة الروم الشرقية بُضَع اقوالٍ غير مستقيمة قاصدًا بها خنق الزرع الصالح وستر النور السموي ببراقع المحاولات . وكان اجلُّ ما يتداول بهِ مع ابناء مذهبهِ طعنًا على الانجيليين الاعتراض المعلوم وهو اين كان المسيح قبل لوثر. وهذا الاعتراض قد تعب بهِ من قبله كثيرون من جماعة البابا حتى جاء هو اخيرًا يقرع بهِ هامة البروتستانت كانهُ لم يقف بعد على شيءٍ من معتقداتهم ولاعرف لهم حالاً . الا ان بعض المسيحيين من اهالي هذه المدينة قد وضع هذه الرسالة يجيبه عن السوال المستفاد مما تقدم مع ردٍّ وجيزٍ على ما اوقعه صديقهُ هذا من الملامة على رسالة الخواجا ميخائيل مشاقة . وهذه صورة السوال

ان المسيح قال لتلاميذهِ انا معكم من الآن والى انقضاء

الدهر والمذهب البروتستانتي لم يظهر الا في الجيل السادس عشر فاين كان المسيح قبل ذلك

فلا ريب ان الجزء الاعظم من جواب هذا السوال يتوقف على معرفة تواريخ لم تُكتَب باللغة العربية ولهذا لاسبيل الى المباحثة معكم فيهِ على وجهٍ تاريخيّ. على اننا نقول بالاختصار ماذا ينبغي ان نفهم من قول المسيح انا معكم من الآن والى انقضاء الدهر. العلكم ايها الحبيب تفهمون منهُ ان السيد لهُ المجد يعصم الذين يومنون على ايدي الرسل اوغيرهم من الغلط رغمًا عنهم حتى لايعود لهم سبيل ان يحيدوا عن الايمان بهِ. ولايخفى انكم اذا تاملتم جيدًا في هذا الامر وطرحتم الغرض النفساني جانبًا فانهُ يتضح لكم جليًّا ان السيد المسيح بهذا الوعد لايضمن الذين يومنون بهِ من كل خللٍ. لانكم ترون ان نفس الذين تحسبونهم خلفاء الرسل لم يثبتوا على صحة الايمان بل انقسموا الى احزابٍ كثيرة يخالف احدها الآخر حتى في الامور الجوهرية. فمنهم من نقبّط ومنهم من تيعقب ومنهم من تنسطر ومنهم من وطئ الدين برجلَيهِ ونقلّد بسيفٍ عالمي يريد ان يخضع بهِ الملوك والسلاطين الذين لم يتقلدوا السيف جزافًا نظيرهُ. فلوكان المسيح مع هولاء الخلفاء وكان لهم نصيبٌ مما قيل للرسل بالمعنى نفسهِ الذي تزعمونه انتم لما قدر ابليس المحال ان يدخل الضلالة في عقولهم بوجهٍ من الوجوه ولما امكنهُ ان يخرجهم من الكنيسة المسيحية

لاعبًا بهم بانواع التخيُّلات المشرقية حتى ايامنا هذه

والسيد لهُ المجد لم يتكفل ايضًا بصيانة عقول الرسل انفسهم في كل شيءٍ لاننا نرى ان بطرس قد ضلَّ هُنيهةً بنكرانهِ المسيح وبهوذا الدافع اسلم معلمهُ بروح الكفر الى عظمآء اليهود وبولس يخبرنا واضحًا انه وجد راس الكنيسة المعصوم مستحق التوبيخ فوبخَّه بمحضر التلاميذ . وها اننا نرى ان المسيح لم يحفظ هولآء عنفًا من الوقوع في الغلط . وهو لم يقل لهم في وعدهِ انا اكون معكم غصبًا عنكم كما تريدون حضرتكم ان تفهموا ولكن كان مفاد وعدهِ انهم ان ثبتوا فيه فهو يثبت فيهم الى الابد . فماذا عساكم تقولون عن هولآء الا انهم قد شآءوا ان يضلُّوا فضلُّوا وان وعد الله بانه يبقى معهم الى انقضآء الدهر لم يضطرَّهم الى الثبات جبرًا

ولا بدَّ انه ينتج من ذلك اولًا ان خلفآء الرسل لم ينالوا عصمةً من الله . ثانيًا ان وعد المسيح لم يُوجِد فيهم اضطرارًا الى اتباع الهدى ولا عجزًا عن السقوط في الضلال . ثالثًا ان العدد القُلَيّل الذي لم يضلَّ انما كان ثباتهُ اجتهاديًّا

واذا راجعتم حضرتكم الكتب الالهية ترون انهُ يُوجَد فيها مواعيد كثيرة نظير هذا الوعد لايمكن ان يُفهَم منها ما تفهمونهُ من وعد المسيح هذا لتلاميذهِ من دون شرطٍ يتعلَّق بالذين يتجه الوعد اليهم . ولاجل الاختصار نكتفي بذكر مكانين منها

المكان الاول قولهُ تعالى في سفر الايام الثاني اني قد اخترت وقدَّست هذا البيت ان يكون اسمي عليهِ الى الابد وتكون عيناي وقلبي بهِ طول الزمان"(١)

فنسا لكم ايها العزيز هل بقي البيت المشار اليهِ وهو بيت المقدس على الحالة المستفادة من هذه الآية واذا قلتم لا فنسا لكم ايضًا هل اخلف الله الصادق وعدهُ ولا ريب ان ذلك محال مع ان كلامكم يستلزم لامحالة صدق احدى القضيتين كما لا يخفى

والمكان الثاني قولهُ تعالى في سفر تثنية الاشتراع اكتبها على اساكف بيتك وابوابهِ لكي تكثر ايامك وايام بنيك في الارض التي حلف الرب لابائك انه يعطيهم اياها ما دامت السماءَ على الارض"(٢)

فمن المعلوم ان ارض كنعان بقيت زمنًا طويلاً في ايدي اليهود الا انها خرجت اخيرًا من ايديهم . فهل يصحُّ ان يقال ان ليهود ايامنا حقًّا في ان يدَّعوا بها الآن بناءً على ان الله الصادق لايمكن ان يحنث في يمينهِ وعلى ان الشرط الذي علَّق الله دوام تملك هذه الارض عليهِ لم يزل موجودًا لانه من المعلوم ان السماءَ لم تزل على الارض كما ذُكِر في الآية . والحال انه فضلاً عن ان اليهود لا يتملكونها الآن قلَّما يوجد منهم من يسكن بها لان الله قد شتتهم في اربعة اقطار المسكونة . وبناءً

(١) ص ٧ ع ١٦ (٢) ص ١١ ع ٢٠ و ع ٢١

على ذلك لانقدر ان نفهم الآية كما تفهمونها حضرتكم ولكن ينبغي ان نقدِر فيها شرطًا مضمرًا يتعلق بهِ الوعد وهو ان يبقوا محافظين على وصاياهُ تعالى. ولايخفى انه قد صُرّح بهذا الشرط في اماكن اخرى من كلامهِ تعالى وعلى ذلك يكون الله صادقًا في وعدهِ لهم. وهكذا يجب ان نفهم وعد المسيح لرسلهِ الاطهار بانهُ يكون معهم الى الابد مقيَّدًا بشرط المحافظة على وصاياهُ

ثم اذا تاملتم ولو قليلاً في ماكُتِب الي كنيسة اللادقية فى سفر الرويا(١) يتضح لكم جليًّا صدق ما تقدم. لان هذه الكنيسة كانت من جملة الكنايس الرسولية ومن المعلوم انه كان يحقُّ لها ان تدَّعي بوعد المسيح بان يكون مع تلاميذهِ الى انقضاءَ الدهر اقلَّهُ نظير كنيستكم وكانت تقول نظيرها انها غنية ومكثرة لاتحتاج الى احد ومع هذا كله لما راى السيد لهُ المجد انه قد فقدت منها الصفات المرغوبة قال لها اني ابتدي انقيأكِ من فمي. افما ترى انه يُخشَى على كنيستكم ايضًا من السقوط تحت هذا الحكم بعينهِ

وزِدْ على ذلك ان هذا الوعد الذي تبنون عليهِ رجاءَ خلاصكم وتستكفون بهِ عن الفحص كانه لكم خاصةً وتتخذهُ كل كنيسةٍ لذاتها كانهُ لها مدَّعيةً انها نازلة من الرسل على خطٍ مستقيم قد علَّقهُ السيد لهُ المجد على شرطٍ صرَّح بهِ بقولهِ قبل

(١) صْ ٣ عـ ١٤ الى عـ ١٧

ذلك بقليلٍ اذهبوا وعمّدوا وكل الامم وعلموهم جميع ما اوصيتكم بهِ الى ان قال وانا اكون معكم الى انقضاء الدهر فكانه لهُ المجد يقول ان علمتموهم ما اوصيتكم بهِ فانا اكون معكم الخ . فهل تقولون ان الخلفاء المذكورين قد علّموا ما اوصى بهِ المسيح وكيف يمكننا تحقيق ذلك عنهم الا بمقابلة تعاليمهم بتعاليمهِ الموجودة في الكتاب المقدس . ولا ريب ان كل كنيسة من كنايس النصارى تدّعي بهذه الدعوى فهل يمكن لكلٍّ منها ان تكون صحيحةً مع ما يوجد بينها من المضادّة . وكيف يمكننا ان نطمئن بضماير نا بناءً على مجرد ادّعاء الكنيسة التي نحن فيها بانها لا تغش ولا تُغَش والحال ان كل كنيسة خلافها تدّعي بذلك . فسبيلنا اذن ان نفحص بمساعدة الكتب المُوحَى بها من الله عن الكنيسة الحقيقية ثم نتمسك بها لان الرسول يقول افحصوا وتمسكوا لا تمسكوا وافحصوا

ولا يخفى ان علماءكم يزعمون ان قول السيد لهُ المجد من ياكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيَّ وانا فيهِ يتجه الى عشية الرب . وبولس الرسول يقول من ياخذ من الخبز والخمر بغير استحقاق انما ياخذ دينونةً . وهو مسلم من علمايكم ان الانسان قد يكون مستحقًّا مرةً وغير مستحقٍ اخرى . ولكن اذا كنتم انتم تفهمون من هذا القول ان الذي يشترك في عشية الرب مرةً باستحقاق لا يعود يمكنهُ ارتكاب الخطية فيما بعد ولو قصدها او ان المسيح

يثبت فيهِ ثبوتًا يمنعهُ من التقلُّب في ظلام الضلال فاننا نحن اكرامًا لخاطركم نفهم ايضًا من قول المسيح انا اكون معكم الى انقضاءِ الدهر انه له المجد يثبت مع خلفاءِ الرسل ثبوتًا متصلاً لايعقبهُ انقطاع ولاانفصال

ثم نقول على قولكم ان المسيح قال مهما ربطتم يكون مربوطًا ومهما حللتم يكون محلولاً انهُ من المعلوم ان الحلّ لايقع الا على ماكان مربوطًا وكذا الربط لايقع الا على ماكان محلولاً . ولو صحّ ان هذه الموهبة بعينها نتصل الى جماعة الخلفاءِ لما امكن ان الدين يستقرُّ على حالٍ من الاحوال لانهُ يكون لهم حقٌّ في ان يربطوا المحلول ويحلُّوا المربوط متى شاءُوا ونلتزم حينئذٍ ان نسلم بعصمة كلٍّ من الكنايس المختلفة الموجودة في العالم بناءً على ما تدَّعيه قسوس كل واحدةٍ منها من حقّ الربط والحلّ . وكما انكم لا تسلمون مع ادّعائكم باتصال هذا السلطان الى قسوسكم بانهم يحلون ويربطون شيئًا في امر الدين في هذه الاجيال نحن لانسلم بانهم قد استطاعوا على هذا العمل في الاجيال السالفة . وعلى ذلك لا بدَّ لكم من التسليم بوجود الفرق بين حق الرسل وخلفائِهم في هذا القول . وبحسب هذا الفرق يكون قسوسكم نوَّابًا في تعليم ما ربطتهُ الرسل او حلّتهُ لااصحاب سلطان نظير الرسل كما تزعمون . وناهيك ان القسوس اقلَّهُ في هذه الايام فضلاً عن خلوّ صفاتهم من علامات التقوى الظاهرة

هم اكثر غفلة واغلظ عنقاً واشدُّ ميلاً الى جواذب الجحيم من عامة الشعب. فكيف يمكن والحالة هذه ان الله العادل الحكيم يأتمن مثل هولآء على سلطان الحلّ والربط ويسلمهم مفاتيح السمآء وهم يجهلون معرفة طريقها وقاصرون طبعاً عن استعمال هذه المفاتيح حسب الحقّ مع ان هذا السلطان هو من اعظم المواهب ولا بدَّ من اقترانهِ ببقية المواهب التي كانت للرسل القديسين كاجتراح الآيات والنور الروحانيّ وهلمَّ جرًّا والا فلا يمكن استعمالهُ باستقامةٍ كما نرى ذلك يومياً. ومن ثمَّ لا يصلح وجودهُ بدونها لئلا يكون المسيح قد سلَّم سيفاً ماضياً ذا حدَّين في ايدي المجانين وعلَّق سعادة العالم وشقاوتهُ وخلاصهُ وهلاكهُ على ارادة اناسٍ اغبياء لا يعلمون ماذا يعملون. فامعنوا النظر في حالة قسوس كنيستكم وقسوس العالم حولكم وانظروا كيف يتمُّ رايكم في ذلك

ثم نقول ان كنيسة المسيح مع ذلك جميعهِ لم تفقد من العالم وذلك لاسبابٍ شتَّى نذكر شيئاً منها بالايجاز ونرجوكم ان تتاملوا في ما نقولهُ تاملَ فاحصٍ طالب الافادة لا تشغلهُ محبة تأييد رايهِ عن معرفة الحق وقبولهِ. فمن جملة الاسباب لعدم فقد الكنيسة اولاً ان الكنيسة لبثت تحافظ على الكتاب المقدس في جميع الاجيال. ثانياً انها لم تزل تعتمد على الكتاب المقدس وتستعين بهِ وترجع اليهِ في اثبات تعاليمها ودحض

اراءَ المضادّين وذلك مع ما دخل فيها من الغلط . ثالثًا ان الغلط الذي وقع في الكنيسة لم يدخل دفعةً واحدةً في زمنٍ واحدٍ بل بالتدريج شيئًا فشيئًا وبالتمادي وصل الى ما وصل اليهِ الآن ويوجد تاريخٌ معلوم لدخول كل غلطٍ اقلهُ بالاشارة والتلميح . رابعًا انهُ ما خلا طايفة الوَلدِنسيين المشهورة في العالم بقدمية المعتقد ومطابقة تعاليمها لتعاليم الانجيل النقية الخالصة يوجد كنايس لم تتهوّر في كل ما رتبتهُ المجامع كالكنيسة الكلدانية التي لم تسلم الا بالمجمعَين الاولَين كما انك انت ايها الحبيب لا تسلم الا بالسبعة المجامع الاولى . وهذه الكنيسة لا تسلم بعبادة الايقونات او تكريمها ولا بشفاعة القديسين المايتين وهلمّ جرًّا . كما يتضح مما ذكرهُ سايح ايطاليانيّ كاتوليكي زار هذه البلاد سنة الف وستماية وثمانين بقولهِ . ان الكلدان فضلاً عن رفضهم لمذهب الايقونات يتمسكون بضلالة اخرى اشر من هذه وهي انهم يتناولون القربان المقدس تحت الشكلين اعني الخبز والخمر من دون اعترافٍ وذلك باجازة قسوسهم ومطارنتهم . وليس في طقسهم شيءٌ من الزينة والاحتفال مما نراهُ في طقوس بقية الكنايس . وقسوسهم يتزوّجون مرارًا بعد وفاة نسآيهم . وهم يصلّون باللغة الكلدانية اي لغتهم . فها اننا مع وجود بعض غلطات في معتقد هذه الكنيسة لم نزل نرى شيئًا من البساطة القديمة في تصرفات عبادتها . خامسًا ان ما دخل في معتقدات

بعض الكنايس من الغلط انما نشأ عن مبادي واصول معلومة ومسلَّم بها من الجميع ولما لم يقدر اصحاب المجامع ان يفسروها بموجب الدين المسيحي تاوّلوها حسب اغوآء فلسفة هذا العالم الفارغة

ولاجل ايضاح ما نحن في صددهِ نقول ايضًا ان المسيح واضع الشريعة لا يجب ان يتكفل بصيانة عقول الناس من الغواية والاوهام التي من شان البصيرة الانسانية ان تتهوَّر فيها وتنشيها. ولكن يكفيهِ ان يضع لهم شريعةً تامةً ويصون تلك الشريعة الى الابد من كل زيادة او نقصان. ولا ريب انه قد فعل ذلك بكتابهِ اذ صانهُ بالتمام الى الدقيقة الحاضرة من جميع المضادّين من امم ونصارى ولا يزال يصونهُ الى منتهى الدهر حسب وعدهِ ان ابواب الجحيم لن تقوى عليهِ. والكنيسة الرومانية مع انها قد اوجدت طريقةً لابادتهِ ووجودهِ معًا في وقت واحدٍ بعينهِ وذلك بمنعها الشعب عن مطالعتهِ واقتنآيهِ حتى صار وجوده بالنظر الى الشعب عدمًا وبالنظر الى طغمة الاكليروس طلسمًا سريًّا يخضعون بقوتهِ عقول ابنآيها المساكين ويدوسونهم بارجلهم لم تتجاسر على تغيير شيءٍ منهُ مع انهُ في اماكن شتى لا يتنبا عنها بالخير

ولنضرب لكم ايها الحبيب في ذلك مثلاً فنقول ربما لا يخفاكم ان جماعة البروتستانت فضلاً عن ساير الكنايس لا يصدقون

الاعجوبة التي تدّعون ان خلفاءَ المسيح من كنيستكم يجترحونها كل سنةٍ بالنيابة عنهُ على ما تسمونه قبر المسيح في القدس . فان كنيسة الروم مقسومة في هذا العمل المدعو منكم نورًا ونعمةً الهيةً الى قسمين اي الى خادعٍ وهو القسم الاصغر ولعلكم انتم من هذا القسم لاتعتقدون ان هذا العمل هو اعجوبة الهية حقيقية . والى مخدوعٍ وهو القسم الاكبر ويدخل تحته في الاكثر السذّج الاميّون الذين يصدّقون بكل سهولةٍ ما وقع تحت حواسهم . ومعلومكم ان الكنيسة الحقيقية ليس من شانها ان تكون خادعةً او مخدوعةً . وهذا الخداع مربوط برباط وثيق ومُعتنًى بهِ ومحفوظ جيدًا وبكل حرصٍ بخلاف غيرهِ من الخداعات التي تصدر من الانسان بالعرض والصدفة ثم يعقبها تأنيب الضمير والندم . لان اصحابكم عوض الندامة وقصد الاصلاح يجتهدون في تمكين الخداع في عقول الآخرين فضلاً عن اصرارهم عليهِ . وكأن لسان حالهم يقول بعد مباشرة هذا العمل كل سنةٍ الحمد للذي اعطانا النجاح في خديعتنا هذه حتى امتلأت اكياسنا ورجحت اجيابنا وزادت قناديلنا الذهبية قدرًا وعددًا وفاحت روائح العطر من ثيابنا الخزية . ولا بدَّ اننا بعد مضي ثلثماية وخمسة وستين يومًا في مثل هذا اليوم المبارك وهذه الساعة السعيدة نكرّر هذا العمل والخداع ولو اضطررنا ان نصرف مبلغًا من الدراهم في دفن القتلَى الذين ينتقلون من هذه الحيوة الشقية

شهدآء في سبيل خديعتنا هذه المقدسة . ولا تظن ايها العزيز ان كلامي هذا عن غير رويّة ولا اسناد فان كل ما ذكرتهُ تثبته اخبار كل سنةٍ وسنةٍ وعلى الخصوص سنة ١٨٣٤ حتى لا يبقى باب للريب فيه . وربما انكم تسمعون عن السنة الثقات انه لم يزل الى الآن يقع على جوانب القبر المقدس في كل سبت نورٍ بين الشرقيين والغربيين منازعات ومشاجرات لا تنتهى الا بسرّ عصا جنود الحكم الذين بالكدّ يمنعونهم عن ان يفتك احدهم بالآخر كما فعلوا مرارًا وذلك كما يزعمون اكرامًا لمجد يسوع ولنورهِ الالهي . ولا يخفى ان احتمال الحكم لهذه الخديعة انما هو لاسباب لا تمنع كون ديانة الروم قد صارت في هذه الايام هزءًا وسخرية للامم الاجنبية ولجميع طوايف النصارى الا القليل وآلةً جهنميةً للارباح النجسة . ومن العجب ان الذين يرتكبون هذا الاثم الشنيع والنفاق الفظيع يكونون في الغالب شيوخًا في السنّ على حافّة قبورهم ولا يبالون بما ورآء ذلك من العقاب كأن قلوبهم قد تصلّبت وصارت كصخرة صلدة لا يوثر فيها صياح الضمير ولا تنزعج من تبكيتهِ وتقريعهِ . وارجو ايها الحبيب أن لا تغتاظ من كلامي هذا اذ تعلم ان الديانة لا يجب ان يكون فيها محاباة وان المحاماة عن الحق ودحض الباطل من واجباتنا السموية

فبماذا عساكم تبررون كنيستكم من هذه الشوايب الا بان

نقولوا ان الجماعة ولئن كانت مقسومةً في امر النور الى خادع ومخدوع وكانت هذه الضلالة منتشرة ممتدة من اقصاء الكنيسة الى اقصائها لايمكن ان يكون ذلك دليلاً على فساد الكنيسة وفقدها او على وجوب اللوم عليها . وذلك لان هذه الخديعة التي يلتطم بصخرتها كلٌّ من الخادع والمخدوع لاتوجد في القوانين المسلَّم بها من المجامع

فينتج من ذلك ايها العزيز انه اذا كانت جماعة الروم قد استطاعت ان تزيد على انجيلها اعني المكتوبات المسلَّمة لها من المجامع حتى لم يبقَ لكم الآن واسطة لمعرفة الكنيسة التي لم تضل الا مراجعة تلك المكتوبات التي لم يتكفل اباء المجامع عند ما سلَّموكم اياها بصيانة عقولكم من الزيغان عنها والزيادة عليها مكتفين بما سنُّوه لكم فيها حجةً لتقريع من يخالفها . وكذلك اذا كان الغريب الذي يطلب معرفة الكنيسة الصحيحة لابدَّ لهُ من ان يغضي نظرهُ عن الكنيسة الموجودة يومئذٍ في فسيح ديوان العالم ويمضي الى المجامع ليعرف منها وبها الكنيسة الصحيحة . واذا كان ما يعتقد بهِ الروم من النور وغيرهِ مما لم يُرسَم ولاأُشير اليهِ في المجامع ممنوعًا محرَّمًا مع انهُ عامٌّ منتشر بين شعبكم فلا بدَّ اذن من الاقرار بان كنيستكم الصحيحة لاتوجد الا في مكتوبات المجامع او اقلهُ في قوانينها المكتوبة القديمة . ويكون قد اصاب مكتوبات المجامع منكم ما اصاب مكتوبات المسيح ورسلهِ من

ابايكم من الزيادة عليها واستطاعة الخروج عن حيّز سلطانها ولكن كما ان زيادتكم على ما صرّحت بهِ المجامع التي تتخذ ونها دستوراً كافيًا لمعتقدكم ومخالفة قسوسكم ومطارنتكم وبطاركتكم وعامّة شعبكم شرقًا وغربًا في اجيال عديدة وتعدّيهم على احكامها ورسومها لاتكون عند ما يظهر بطلان النور مثلاً دليلاً يُستدَل بهِ على فقد كنيستكم الجمعية في هذه الاجيال المتاخرة كذلك زيادة ابايكم على الانجيل الذي يتخذهُ جماعة البروتستانت دستورًا وحيدًا لايمانهم وعملهم ومخالفتهُ من القسوس والمطارنة والبطاركة وهلمّ جرًّا من اجزآئهم الصغيرة كالثلثمايات التي كانت تجتمع في اجيال مختلفة لايمكن ان تكون دليلاً يُستدَل بهِ علي فقد الكنيسة الصحيحة فى الاجيال القديمة

والامران متشابهان جدًّا لايفرق بينهما الا فى ان احد الدستورَين وهو الانجيل اقدم واشرف واكثر عصمةً من الآخر وهو المجامع. والجميع يتفقون في الاول خلافًا للثاني. وعلي ذلك يكون اصحابكم قد سقطوا في وهدة الخرافات المتنوّعة بعد المجامع كما تهوّروا بها قبل ذلك. ولايخفى ان الذين عاشوا قبل المجامع باجيال يسيرة كانوا بالنسبة الى الانجيل ساقطين في الورطة نفسها التي انتم ساقطون فيها الآن بالنسبة الى مجامعكم

ثم ان السيد لهُ المجد قال لبطرس انت الصخرة وعلى هذه

الصخرة ابني بيعتي وابواب الجحيم لانقوي عليها[1]" وانتم تقولون ان الصخرة هنا كناية عن الايمان الذي اقرّ بهِ بطرس لا عن ذات شخصه وان الوعد بان ابواب الجحيم لا نقوي عليها انما يتجه خاصةً الى اقرار بطرس بان المسيح هو ابن الله خلافًا لما ذهب اليه الباباويون الذين يوجّهون ذلك الى بطرس نفسهِ. ولا ريب انكم في تفسيركم هذا تتفقون بالتمام مع جماعة البروتستانت ذاهبين معهم الى ان المسيح لم يبنِ الكنيسة على شخص بطرس او على الذين يدَّعون بانهم خلفآؤُهُ بل على ما اقرَّ بهِ وهو ان المسيح هو ابن الله. ولكن ياخذنا العجب عند ما نراكم تخالفون البروتستانت متفقين مع الباباويين في تفسير قولهِ لهُ المجد وانا اكون معكم الى انقضآء الدهر بزعمكم ان كلامه هنا يتجه الى الاشخاص دون التعاليم والحال ان مفاد الآيتين واحد. وانتم تذهبون الى ذلك مع علمكم الاكيد بان الاشخاص ولاسيما الذين يدَّعون بانهم خلفآء بطرس قد زاغوا وانحرفوا عن سوآء السبيل وتهوَّروا في ضلالاتٍ لاتخفاكم. فسبيلكم اذن اما ان تتحدوا مع هولآء وتسلموا لهم بالخلافة والرياسة المطلقة او ان تفسروا الآيتين تفسيرًا واحدًا نظير جماعة البروتستانت والا فلا بد من سقوطكم في ورطة التناقض. وعدا ذلك اننا نرى السيد لهُ المجد يامر بطرس بعد قليلٍ ان يثبّت اخوتهُ. وهو مسلَّم انه لوكان

(١) متى ص ١٦ ع ١٨

مفاد الآية ان المسيح يثبت الى الابد مع الاشخاص جبرًا عنهم لا مع التعاليم لما كنّا نراهُ يكلّف بطرس ان يحذّر التلاميذ الذين تربّوا في نفس مدرسة المسيح من السقوط في الجحود الذي سقط هو فيهِ مع ان المسيح كان قد طلب من اجلهِ على الخصوص ليلا ينقص ايمانهُ

وناهيك انه يوجد في الكتب المقدسة آيات كثيرة تثبّت ما نحن في صددهِ . ولاجل الاختصار نكتفي بذكر البعض منها مقتصرين على ما جاء في كلام يوحنا الرسول . ومن ذلك قولهُ وبهذا نعلم اننا قد عرفناه اذا نحن حافظنا على وصاياه . وقولهُ ايضًا ومن يقول انه يعرفه ولايحافظ على وصاياه فهوكاذب(١) فان الرسول هنا لم يجعل انضمامنا الى كنيسةٍ من الكنايس علامةً لكوننا مسيحيين بالحق بل انما جعل العلامة لذلك المحافظة على وصاياهُ تعالى . ومنهُ ايضًا قوله ان ثبت فيكم ما سمعتم من البدءِ فانكم انتم ايضًا تثبتون في الابن والآب(٢) فها قد وجدنا ان ثبات المسيح فينا معلّق على شرط المحافظة . والرسول نفسه يعلمنا ايضًا ما هي الوصايا التي يتعلق ثبوت المسيح فينا على حفظها بقولهِ فاما وصيتهُ فهي هذه ان نومن باسم ابنهِ يسوع المسيح وان نودَّ بعضنا بعضًا(٣) فاننا نحن مع هذا الرسول نطلب من الذين يدّعون

(١) يوحنا اولى ص٢ ع٣ وع٥ (٢) ع٢٤ (٣) يوحنا اولى ص٣ ع٢٣

بثبات المسيح فيهم ان يسيروا بسيرته ولا نطلب منهم اكثر من ذلك . ومن ذلك ايضًا ما جآء من قول المسيح وهو ان حفظتم وصاياـــي ثبتم في محبتي . وقولهِ ايضًا وانتم احبّآءي ان عملتم ما اوصيتكم بهِ[1] فكيف يصحّ ان المسيح يضع هذه الشروط كلها لو كان يعلم ان مخالفتهم لوصاياه غير مستطاعة لديهم كما ينتج من تفسير البعض لقولهِ تعالى وانا اكون معكم الى انقضآء الدهر

ثم اننا نراكم ايها الحبيب تشيرون الى بعض تقليداتٍ تسمّونها الهية حاكمين بوجوب الاعتقاد بها اذ تلومون الخواجه ميخائيل مشاقة على صرفهِ معنى الشهادات المُورَدة من السيد مكسيموس مظلوم في هذا الصدد الى وجهٍ يوافق مرامهُ . ولما بلغنا ذلك منكم انعكفنا ثانيةً على مطالعة نبذتهِ الاولى فلم نرَ فيها شيئًا مما تقذفونه بهِ . الا اذا كان مرادكم عكس القضية تهكمًا فتكونون قد اصبتم

وملخّص كلام الخواجا ميخائيل في جوابه الى غبطتهِ ان عدم اتفاق الجميع في التقليدات هو من جملة البراهين على كذب دعواها . وحضرتكم تسالون كيف يصحّ الاستدلال على كذب دعوى التقليدات من عدم الاتفاق عليها واختلاف الكنايس فيها

ونحن نجيبكم ان الذي يمعن النظر جيدًا في هذا الامر يمكنه

---

(١) يوحنا ص١٥ عدد١٠ وع١٢

ان يستدل على ذلك من دون صعوبة . لانه لما كانت التقليدات المختلف فيها لا توجد راساً في الكتب المقدسة كانت معرفة صحيحها من فاسدها موكولةً بالتمام الى مطالعة كتب التواريخ المختلفة الواصلة الينا التي ربما قدرنا بواسطتها ان نعرف اصل هذه التقليدات وكيفية وضعها وزمانه ومكانه ومن هو الواضع وكيف وصلت الى ما وصلت اليهِ من القوة والامتداد وهلمَّ جرًّا من الظروف التي يحتاج من يفحص عن صحة التقليدات الى معرفتها لكي يمكنهُ ان يميّز ما كان منها صحيحًا واجبًا فيعتقد بهِ او غير صحيحٍ فيرفضهُ

ولا ريب انكم بذلك تكونون قد سلَّمتم زمام الحكم على صحيح التقليد وفاسدهِ الى روية المطالع الخصوصية . وهذا من اعظم ما تنكرونه . وتكونون ايضًا قد نزَّلتم الكتب التاريخية في تعليم الناس ووقايتهم من الضلال منزلة الكتب المقدسة نفسها كأنها اناجيل عديدة مختلفة متمّمة للانجيل الواصل الينا الذي تدَّعون بعدم كفايتهِ وحدهُ لارشادنا في الايمان والعمل . وهذا منافٍ لكلامه تعالى

هذا مع ما نراهُ من الاختلافات بين المؤرخين واضطرارنا الى عدم تصديقهم في كل ما يقولونه بما انهم بشر غير معصومين نظيرنا وربما كانوا اشقياء مايلين الى التعويج . فضلاً عن انهُ لا يوجد نصٌّ الهيٌّ ولا قانون كنايسي يامرنا بتصديق ما نقلوه

كموحًى بهِ من الله او ضروري للخلاص

واذا كنتم ايها الحبيب لا تسلمون بنتيجة الخواجا ميخائيل مشاقة فيلزمكم ان تسلموا بالوفٍ من الكتب كضرورية للخلاص ومعصومة من الغلط نظير الكتب المقدسة نفسها . لانهُ يجب علينا ان نعرف صحيح التقليد من فاسدهِ وهذا كما تقدم لا يمكن الا بواسطة هذه الكتب . وكل ما لا يتمُّ الواجب الا بهِ فهو واجب كوجوبهِ . فتكون النتيجة ان مطالعة هذه التواريخ واجبةٌ كوجوب الكتب المقدسة وهذا مما لا يسلم بهِ احدٌ . لاننا لا نقدر ان نزيد على عدد الانبياء او الرسل ولا ان نومن بكل روح الا ما كان من الله

وزِدْ على ذلك انهُ اذا لم يكن للخواجا ميخائيل مشاقة ولا لنا سبيل الى التمييز بين صحيح التقليد وفاسدهِ الا اقوال المؤرخين وكان ذلك من الواجبات الضرورية فانهُ يجب على حضرتكم . اولاً ان تحكموا على الجميع بمطالعتها ككتب ضرورية ومتممة للوازم الخلاص كما تحكمون بقرآة الكتب المقدسة . ثانيًا ان تحكموا بصحتها حكمًا قاطعًا قانونيًا لا ريب فيهِ . ثالثًا ان تفرزوا ما كان منها غير واجبٍ تصديقهُ او ما لا يعنيكم رفضهُ ولا قبولهُ . رابعًا ان تفهموهم كم يجب ان يصدقوا منها والى اي صفحةٍ من التاريخ يقدرون ان يصدقوا ولا يوْلموكم . خامسًا ان تبينوا لهم كيف يجب ان يقراوا هذه التواريخ بروح التقوى

والايمان من دون ارتيابٍ كانهم يقرأُون كتاب الله نفسهُ . سادسًا ان ترشدوهم الى المورخين الذين يجب ان يلتجئوا اليهم . وهنا ننصحكم ان تحذّروهم من مطالعة كتب مورخي اللاتينيين او غيرهم من الخارجين عن كنيستكم . لان مورخي هولآء لا يتفقون مع مورخي السنكسار وبستان الرهبان المقبولَين عندكم اللذين ربما كنتم انتم لا تثقون باخبارهما . ومع ذلك ايها الحبيب ما ابعد آرآءكم عمَّا نقلهُ المورخون الاقدمون وبعض الآبآء المعتبرين

اما نحن فلا نعلق ايماننا ورجآء خلاصنا على كلام الناس او اقوال المورخين نظيركم ولهذا لا نحتاج اليهم لاجل اثبات تعاليمنا ومعتقداتنا . ولا ناتي بذكر شيءٍ من اقوالهم الا لاجل مجرد الشهادة التي لا يكون منها فايدة زايدة على ما قد قيل في متى ومرقس وغيرهما من الانجيلية والرسل

اما المجامع فالبابين انكم لم تتركوا لنا محلاًّ للايمان بعصمتها من الغلط لاننا نرى انكم تشكُّون بمعظمها واقدمها كالتي حرَّمت تقديم السجود للايقونات . فان كنتم انتم مع اعتقادكم بالعصمة الجمعية تنكرونها على البعض منها فكيف يمكننا نحن ان نتحقق عصمة البعض الآخر مع ان ما تنكرون عصمتهُ اقرب عهدًا الى المسيح واعلم بصحة التقليدات المزعومة منكم . ومعلوم حضرتكم ان هذا الخلاف مما يوقع المجامع كافةً تحت الشبهة والريب فلا يبقى

لنا سبيل الى تصديق شيء منها او الاستناد عليهِ

ولا يخفى ما نحن بهِ من الضعف وقصر حيوتنا وعدم اقتدارنا ان نحلَّ هذه الرموز المغلقة المحجوبة عنا بما انطوى من الزمان. لان البحث عن كل جزء منها يستلزم صرف زمن طويل في مراجعة تواريخ الاقدمين والمتأخرين من كل جنسٍ وهذه لايمكن احدًا ان يستتمَّ قراتها كما يجب ولو عاش مئة سنة وذلك مما لا يتيسَّر الحصول عليهِ في هذه الايام حتى للاشدَّآء. ولهذا ترون جماعة البروتستانت عند ما يشآؤون الوقوف على حقيقة من الحقايق المسيحية لايذهبون الى كتب التواريخ نظيركم بل يفتحون كتاب الله ويتعلَّمون منه بكل طمانينة وسهولةٍ جوازِ اتخاذ الصُوَر والتماثيل مثلاً او عدمه من دون خطر الوقوع في اغوآء الاقاويل المتنوعة. ويكتفون باحكامهِ حيرة الشبهة بينما تكونون انتم معاشر المجمعيين تتنازعون وتتقاتلون بالحرومات والسيف على مجامع بعضكم بعض

ولست اشير بذلك ايها الحبيب الى المجامع التي حرَّمت الايقونات فقط بل ايضًا الى المجامع التي تتخذها كنيسة دون اخرى ركنًا وطيدًا في امر الديانة. وذلك كالمجمع الثامن المقبول كركنٍ من الكنيسة الغربية والمحروم كاراتيكيٍّ من الكنيسة الشرقية. ولا يوجد الآن قاضٍ يقضي بين هاتين الكنيستين ويُستدَل بحكمهِ على المصيب منهما الا التاريخ اذ لايمكن ان

يصيب الفريقان معـاً لما بينهما من التضاد. وقد راينا ان هذا القاضي يمكن ان يُرشَى فما السبيل

ثم اذا قلتم ان الرسل لما راوا ما وقع من الفساد في امر الدين انما كتبوا ما كتبوهُ احترازًا من المفسدين فنسالكم لماذا لم يكتبوا كل ما يجب الايمان بهِ ويُضطَرُّ اليه في امر الخلاص. لانه اذا كان الفساد الذي دخل الكنيسة في نفس ايامهم في مدة وجيزة قد احوجهم الى تدوين ما دوَّنوهُ من التعاليم المسيحية فلماذا لم يخافوا ان يتركوا بقية التعاليم المسيحية المزعومة منكم انها ضرورية للخلاص غير مكتوبةٍ. افما يُخشَى ان يضلَّ بها الاجيال التابعة لهم كما ضلَّ غيرهم في التعاليم الاخر. وحقـًّا ان في هذا لعجبًا عظيمًا لمن يتامَّل

ولايخفى ان الرسل كانوا يعلّمون برسايلهم تجسد الكلمة وموت المسيح لفدآء البشر وقيامتهُ وصعودهُ وهلمَّ جرًّا من الاصول العظيمة. فهل تقولون ان الذين كتب الرسل اليهم كانوا في ريبٍ من هذه التعاليم فذكَّروهم بها او انهم كانوا يجهلونها راسًا فعلَّموهم اياها

فان كانوا في ريبٍ منها فذكَّروهم بها يكون الذين كُتِبت تلك الرسايل اليهم قد خالفوا الدين المسيحي على الخط المستقيم حتى لم يعد يصدق عليهم انهم مسيحيون. ولهذا كان يجب ان الرسل يعيدون عليهم مكرّرين كل ما علَّموهم اياهُ. وليت شعري

اذا كان هولاء لم يثبتوا على الايمان ببُشرَى المسيح رلا على شيء من اصول الديانة المسيحية الصريحة فكيف يُظن انهم يثبتون على تقليداتكم الموهومة كالقطاعة وتكريم الايقونات ونحوهما. والبابن ان الرسل لم يعلقوا كبير فايدة على هذه التقليدات ولهذا ترونهم قد ضربوا صفحًا عنها وتركوها وما كتبوا في رسايلهم الاّ ما راوهُ مع جماعة البروتستانت ضروريًا للخلاص

وان كانوا يجهلونها راسًا على الفرض الثاني فعلموهم اياها فتكون تلك الرسايل تعليمًا لا تذكيرًا وعلى ذلك يقدر الخارجون ايضًا ان يتعلموا منها جميع الواجبات. ومن ثمَّ تكون معلمًا كاملاً للامم ودستورًا وحيدًا للكنيسة حتى اذا جاء ملك من السماء فكم بالحري قسيس وبشَّرها بما يخالف هذه البشرى يكون عن اذنكم محرومًا

وها قد وجدنا ان الكتاب المقدس وحدهُ كافٍ للخلاص لانهُ لم يكتَب للكنيسة فقط بل للخارجين عنها ايضًا وعلى ذلك لا بدَّ من كونهِ كافيًا بذاتهِ وحاويًا كل ما يجب الايمان بهِ كما لا يخفى

ومعلومكم ايها الحبيب ان الرسل القديسين كانوا يحذّرون الناس من تعاليم كثيرة ادخلها معلموا الزور منبّهين على مثل هذا الفساد حجةً على المفسدين. افلعل هذه التقليدات الموهومة منكم هي نفس ما كان مبشروا الانجيل يخافون منه ويحذّرون القوم

لضيا المقيم فيهِ . ولا ريب انهُ لا يمكن وجود واسطة لاختلاف المذاهب وتشبيت المعتقدات في العالم اعظم من دعوى التقليدات . فان كل كنيسةٍ تحتجُّ بها وتوهِم بنيها بان كل ما لم يذكرهُ الكتاب هو من التقليد وبهذه الواسطة تثبت غلطها وتهرب من الفحص . فاذن طالما توجد دعوى هذه التقاليد وتنزَّل التقاليد منزلة المكتوبات لا يبقى سبيل الى معرفة الكنيسة الصحيحة اصلاً . وهذا تجديف على عناية الباري تعالى وحكمتهِ لاننا نظنُّ ان كل ما كان ضروريًّا للانسان من وسايط المعرفة لخلاص نفسهِ قد مُنح لهُ من الله باجلى برهان

فعلى اصحاب التقليد اذن ان يعيّنوا عدد تقليداتهم ويجمعوا ملخَّص محاوراتهم واختلافاتهم فيها . ونحن نترامى عليهم ان يفعلوا ذلك بوجه الاختصار لاجل قصر الحيوة عن ايفاء حقّ النظر اليها جميعًا بالتفصيل من جرى كثرتها . ثم ياتوا بما كان الينا لكي نضربهُ على كتابهِ تعالى فان رايناهُ يطابقهُ رددناهُ اليهم اكتفاءً بما عندنا لانهُ يحويهِ . وان لم يطابقهُ او بالحري ضادَّهُ او لم يوجد فيهِ انكرناهُ متذكرين ما تهدَّد الله بهِ مَنْ زاد على كتابهِ شيئًا او نقَّص منهُ شيئًا

ولكن وا اسفاهُ اننا لا نطمع في انهم يتفرَّغون لهذا العمل . لاننا نرى ان احد المشاهير من اصحاب الغيرة على تقليدات ابآيهِ لم يشأ ان يصرف اقلَّهُ ثلثين يومًا في المحاماة عنها وتاييد ها

ودحض آراء المضادّين لها . وذلك مع علمهِ الاكيد ان هذه الابق تكفيهِ لكي يدحض جميع كتب شركآينا في الضلال ويظهر جليًّا زيغان تابعيها عن الحق . والحال انهُ قد صرف نحو احدى عشرة سنة في المحاماة عن امرٍ لاطايل تحتهُ كما لا يخفى . ولا نعلم ماذا يلهيهِ الآن ويعيقهُ عن مباشرة هذا العمل الذي يجب ان يكون اهمّ اعمالهِ لما يتعلق عليهِ من هلاك النفوس وخلاصها

فنتوسل اليكم ايها التقليديون ان تتركوا دعوى هذه التقليدات التي ليس لبحرها قرارٌ اكرامًا لذلك الذي لم يُلهم بتعليق حرفٍ من كتابهِ العزيز الا رحمةً منهُ ولطفًا بعبادهِ الضعفاء متذكرين قول القايل كما نحن في الكتابة هكذا نحن في الكلام

واعلموا يا معاشر التقليديين انكم اذا فعلتم ذلك يزول من وسطكم جميع الاختلافات التي مزّقت كنيسة المسيح وصارت سورًا شامخًا بين نور الانجيل وعقول الامم حتى لم يعد يمكنهم ان يعرفوا طريق الاهتداء اليهِ . ولا يعود حينيذٍ يوجد فيكم من يقول انا لبولس والآخر لافلُّو بل نصير جميعًا للمسيح وبالمسيح رعيةً واحدةً لراعٍ واحدٍ ونصير سماءً جديدة وارض جديدة وتتلألأ الكنيسة ببهاء الطهارة الرسولية اذ تنظّف اذيالها من ادناس الخرافات واقذارها . فنسالهُ تعالى وهو اكرم مسؤول ان يكمل مواعيدهُ الالهية ويهدي الجميع الى الصواب وينير

بضياءِ انجيلهِ الباهر جماعة الضالين السالكين في الظلمة وظلال الموت. اللهمَّ امين

انهُ في السابق حينما كانت سلطة الاكليرس كحاجز بين النور وابصار العامَّة كانت الرعية لا تعتني الاَّ بمطالعة ما تقدمهُ لهم جماعة الاكليرس من الكتب. ولذلك كان الاكليرس من عادتهم ان يحرموا في الكنايس من يقرا الانجيل من عامَّة الشعب او يطالع كتابًا اخر يشعِر بفايدتهِ. وقد كانت هذه الواسطة الغريبة تغنيهم عن كافة البحث وتقيهم من الخطر الذي يتوهمون وقوعهُ من تنوير ابنايهم. وكأنهم في ذلك يحاولون قص اجنحة الملَك المذكور في سفر الرويا صَ ١٤ عَ ٦ واما الآن فقد تغيرت الاحوال واختلفت معهم اختلافًا بيّنًا. لاننا نرى ان الحرومات والتهديد بالترذيل وانواع التحقير قد فقدت قوتها ولم تعد تنزّل منزلة برهانٍ مقنعٍ لدى العامَّة فضلاً عن الخاصَّة الذين يطلبون برهان التعاليم التي تُعرَض عليهم من كلمة الله العزيزة فقط. وهذه لا يمكن ان يوجد فيها ما يوّيد المكر والخداع كما لا يخفى. ولذلك نرى انهُ قد ارتفع عن كتابهِ تعالى قصاص الحريق وارتاح من الحرومات واللعنات المعهودة. ولولا حصول مثل هذه التقلبات لكان اصاب نبذة الخواجا مشاقة من الاتون البختنصريّ ما اصاب غيرها من الكتب كما تقدم

على اننا نرى ان البعض من المضادين لما لم يجدوا سبيلاً الى الردّ على النبذة المذكورة ومنع الناس عن مطالعتها اخترعوا طرقًا جديدةً لابطال قوتها وهي الطعن على مؤلّفها . فمنهم مَن اتهمَهُ لدى الاجانب باللحوق بمذهب الفحَّامين مع ما فيهِ من تحليل المنكرات وارتكاب المعاصي التي تهدد الله فاعليها بنار الوعيد . والذي حملهم على ذلك انما هو عدم تسليمهِ بما زادوهُ على كتابهِ تعالى من التعاليم والخرافات كتكريم التصاوير وسلطان القسوس في حل الذنوب وربطها وهلمّ جرًّا من هذا القبيل . ومنهم من ذهب الى ان الخواجا مشاقة قد حرَّف الكتابات الصادرة من غبطة البطرك مكسيموس مظلوم المحترم . ونحن نقول لهؤلاء بكل احتشام ان دعواهم هذه كاذبة وقد فاتهم ان الكتابات الصادرة من غبطتهِ تحت الختم البطريركي لم تزل محفوظةً عند الخواجا مشاقة فمن اراد الوقوف على الصحيح فعليهِ بالتحقيق والاَّ فليصمت ويكفّ عن تهمتهِ هذه الباطلة مرتاحًا من كل قالٍ وقيل ويحوّل اجتهادَهُ الى التفتيش على برهانٍ غير هذا يطابق الحق ويقبله العقل السليم . لان الاشاعات التي يجتهدون في تقريرها في اذهان العوام لابدَّ من ظهور كذبها اخيرًا وحمل الغير على عدم الثقة بكلامهم . وهذه النصيحة من اعظم الاسباب التي حملت المولف على تذييل خطابهِ هذا بهذه الخاتمة

طبع في بيروت سنة ١٨٤٩ مسيحية